

أ. سليم بابا عمر
أ. بائي عميري
جامعة الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم الترجمة

حول قاموس في اللسانيات

تقديم الموضوع:

يتعلق الموضوع بوضع قاموس dictionnaire في اللسانيات باللغة العربية، وهو -حسب علمنا - الأول من نوعه في العالم العربي، لأنه لا يقتصر على تقديم قائمة بالمصطلحات اللسانية محررة بلغة واحدة أو بعدة لغات كما هو شأن المعاجم lexiques اللسانية المتوفرة بين أيدينا، وإنما يقوم بتقنين كلمات المداخل وتعريف المصطلحات وتعزيزها بالشواهد والتعليقات. وباختصار، هو قاموس لا يسعى فقط إلى سدّ ثغرات الطلبة الجامعيين والباحثين الجدد في الميدان، وإنما إلى تكوينهم تكويناً لسانياً.

اللسانيات ومعضلة المصطلحات :

إن معضلة المصطلحات ليست خاصة باللسانيات ولا بعصرنا هذا، وإنما هي معضلة طرحها المنظرون في شتى العلوم والفنون على مر العصور، وقد احتلت حيزاً كبيراً من انشغالاتهم لكونها معضلة حقيقية وغير هيّنة أبداً كما يتصورها البعض، خاصة إذا تعلق الأمر باللسانيات وموضوعها اللسان الذي يصف نفسه بنفسه.

وإذا كانت اللسانيات تنتمي إلى مجال خاص يتكفل به عدد ضئيل نسبياً من المختصين، فإنها تسعى باستمرار إلى وضع فيض من المصطلحات المختلفة، وهذا التكاثر الاصطلاحي ضروري بالنسبة للطرحات الأولى لأي علم أو فن.

ولقد واجه اللغويون العرب الذين بادروا إلى التعامل مع هذا العلم الحديث بالتأليف والترجمة معضلة المصطلحات هذه، فعمدوا إلى استعمال العبارات التحليلية أحياناً وإلى الاقتراض أو الدخيل أحياناً أخرى، ومن ذلك مثلاً قولهم: الديالكتولوجي dialectologie والفونيتيك phonétique، والسمنتيك sémantique، والستكس syntaxe السيلستيك Stylistique والفونولوجيا phonologie وغيرها.

ويرجع الفضل إلى هؤلاء الرواد في فسح مجال التأليف والترجمة في هذا العلم أمام من جاء بعدهم من اللغويين الذين لجأوا في صياغة مصطلحاتهم إلى الاشتقاق والتعريب والتوليد المعنوي (مع استعمال الدخيل أحياناً)، فزودونا بمصطلحات عربية لفظاً ومعنى ومثالها: اللسانيات: والصوتيات، وعلم التراكيب

إلا أن الترجمة والتأليف في هذا التخصص أصبح شيئا فشيئا مظهرين من مظاهر "الأبهة والتفاخر"، وبطاقة إشهارية تفتح المجال واسعا للربح المادي السريع.

وبهذه الدوافع غير التزيهة أقبل على هذا العلم كثير ممن لا يملكون منه سوى معلومات محدودة تلفقوها من هنا وهناك، وم يتكونوا تكونا لسانيا مختصا، فعجزوا عن إدراك أسرار هذا العلم وتطبيقه على اللغة العربية ولم يوفقوا في وضع مصطلحات خاصة بالظواهر التي تنفرد بها هذه اللغة، مع أن المنظرين اللسانيين بتناولهم اللسانيات العامة من خلال لسان خاص، قد برهنوا على أن حذف ما هو خاص بلسان ما لا يبقى شيئا يذكر للدراسة.

فلا عجب إذن أن تتميز تأليف وترجمة هؤلاء المتطفلين على اللسانيات بالعجلة وانعدام الجدية، دلت عليهما المصطلحات التي استعملت أحيانا استعمالا عشوائيا، وقد عجت بالدخيل والمقترض والمهجين المبهم ومنها: اللانغويستك، linguistique والفونيم أو الصوتم . phonème والمونيم أو المونيم monème، والمورفيم أو الصيغ morphème والشكل allomorphe. وغيرها كثير كثير.

وقد نسي أصحاب هذه المصطلحات الخاصة أن العلم إنجاز جماعي، وأن وضع مصطلحات جديدة إنما تكون له قيمته عندما يراد بهذه المصطلحات البرهنة على معطيات نظرية جديدة متكاملة ومتماسكة، أما إذا كانت تحيل إلى نفس الظواهر اللسانية التي سبقت دراستها ولا تضيف فائدة جديدة أو تسد ثغرة ما، فوضعها يكون من باب "ذر الغبار في العيون" ليس إلا، وقد تعكس هذه العدوى الاصطلاحية نفسية غير سوية يتصرف صاحبها حسب المثل القائل "خالف تسد" أو "خالف تعرف" ناسيا بذلك أو متناسيا أنه يتعامل مع علم له أحكامه وقوده.

ولم تمكن هذه اللا مسؤولية القارئ العربي الأحادي اللغة من التعرف على اللسانيات الحقيقية، لأن ما قدم له "شبه لسانيات" إن صح التعبير، تحتقن مصطلحات غريبة مبهمة في أغلب الأحيان، أما اللسانيات الحقيقية فهي علم بأتم معنى الكلمة تخضع لنفس الشروط التي تخضع لها بقية العلوم، وأهمها الدقة والوضوح اللذان لا يدعان مجالا لأي غموض أو التباس.

فما فائدة وضع قاموس اللسانيات؟

إن وضع قاموس اللسانيات باللغة العربية ضرورة لامناص منها، لأن البلدان العربية قد تبنت هذا العلم وقد أدركت أهميته بالنسبة للغتنا التي ينبغي عليها أن تقوم بنهضة لغوية عاجلة، إذا ما أرادت أن تلحق بركب العولمة وتكون لها مكانتها في عالم يعرف انفجارا معلوماتيا وثورة هائلة في وسائل الإعلام والاتصال.

إن اللسانيات التي برزت إلى الوجود سنة 1916 على يد العالم السويسري فردنان دي سوسور، قد عرفت تطورا هائلا بنشوء نظريات جديدة عارضت بشدة سابقتها لتنتقد في مرحلة تالية نفسها بنفسها، كما حدث بالنسبة للنظرية التوليدية التي عارضت البنيوية في مرحلة أولى، ثم انقسمت بعد ذلك على نفسها وتفرعت إلى فرضيات جديدة.

وأمام هذا الدفع القوي الذي عرفته اللسانيات تبين للسانيين أن عملهم لا يستطيع أن يكون منفصلا عن مشاكل اللغة والتبليغ في المجتمعات المتطورة فازداد اهتمام اللسانيات بهذين العنصرين مما ضمن لها مكانة مرموقة في مختلف الميادين العلمية، وبما أن الجزائر سائرة في طريق النمو وتسعى إلى إصلاحات عديدة أهمها إصلاح المنظومة التربوية، فقد آن الأوان لتأخذ نصيبها من ثمار هذا العلم.

ومن هنا تتبين قيمة وضع قاموس علمي وفني باللغة العربية لإدراك مكانة اللسانيات بين العلوم الإنسانية ودورها في دفع العملية التعليمية قد ما نحو العلمية والتطور.

لما هو القاموس العلمي والفني؟

إنه قاموس يختلف عن القاموس اللغوي لأنه يستطيع الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها القراء عندما يحتكون بنصوص لسانية تستعمل مفردات بمفاهيم خاصة لا تنتمي إلى اللغة المشتركة، وما يطلبه هؤلاء هو نوعا ما ترجمة المفردات التي يجهلونها ترجمة تستعمل مفاهيم معروفة في النحو التعليمي، وهي مهمة القاموس العلمي الفني.

ويحتوي هذا النوع من القواميس على مستويات مختلفة للتقنين من ناحية كلمات المدخل ومن ناحية التعريفات في الوقت نفسه، وكذا التعليقات التي تعقب

ين من
لسريع.

سوى
نعجزوا

، وضع
لسانيين

ما هو

لسانيات
ستعمالا

ويستك

، monèn

كثير.

عي، و أن

البرهنة

لى نفس

غرة ما،

ه. العدوى

ت تسد"

وقيوده.

عرف على

ر، تختنق

علم بآتم

لا الدقة

هذه التعريفات، ويستدعي أيضا أمثلة تشرح التعريفات التي تكون في أغلب الأحيان تعريفات مجردة، وتشكل طرحا موسوعيا، وتعليقا على المفهوم الذي تحيل إليه كلمة المدخل.

وعلى نقيض القاموس اللغوي الذي يقوم بوصف استعمالات كلمة في إطار جملة ويعطي تحديدا لمعانيها المختلفة، فإن القاموس العلمي الفني يصف "الشيء" المفهوم من وراء الكلمة.

ويختلف تحديد المصطلح حسب موقع واضعي القاموس من مختلف الرؤى اللسانية، ولهذا فإن قاموسنا سيحتوي على نوعين من الأقوال:

1- أقوال طويلة مفصلة وموضوعها المفاهيم الأساسية، أي مفاتيح العلم التي تسمح بالوصول إلى المصطلحات الأكثر خصوصية، أي المفاهيم الفردية الخاصة بنظرية أو بلساني، ويرمز عليها بالعلامة النجمية "*" (1).

2- أقوال مقتضبة ملخصة، ويمكن إعادة بنائها بواسطة الإحالة، ويتم الوصول إليها عن طريق النصوص الطويلة والعلامة النجمية.

وبما أن اللسانيات قد اقترضت فرضياتها ومنهجها من علم وظائف الأعضاء (الصوتيات السمعية) وعلم الأحياء (علم وظائف الجهاز الصوتي)، واستلهمت الرياضيات والمنطق عندما قامت - تحت تأثير تقنيي التبليغ - بتحليل اللسان كوضع وعالجت النصوص كأشياء قابلة للتقعيد الاستنباطي، فقد تسربت إليها بكثرة مصطلحات ومفاهيم علم الأحياء، والرياضيات، ونظرية الإعلام، والمنطق ...

وبالمقابل فقد استعملت المعطيات التحليلية للسانيات في الإناسة والتاريخ والأدب، واستعين بفرضياتها في علم النفس اللغوي، وعلم وظائف الأعضاء إلخ ...

لهذا سيحتوي هذا القاموس على مصطلحات تنتمي إلى مختلف هذه العلوم، إلا أننا لا نتوسع إلا في شرح المصطلحات الأساسية الخاصة باللسانيات المحضة.

(1) لهذه النجمة استعمالات أخرى، فهي إذا وردت قبل كلمة تعني أن الصيغة افتراضية، وإذا وضعت قبل جملة تعني أن هذه الأخيرة جملة غير سليمة نحويا.

أغلب
ذي تحيل

في إطار
لشيء

الرؤى

العلم التي
الخاصة

م الوصول

الأعضاء
استلهمت
ن كوضع
يها بكثرة

والتاريخ
ماء إلخ...

العلوم، إلا
ية.

تراضية، وإذا

ولا يسعى هذا القاموس لأن يكون مرآة عاكسة لمصطلحات مدرسة معينة أو اتجاه أو شخص، وإنما لمصطلحات كل التيارات اللسانية الحالية من بنيوية وتوزيعية ووظيفية وتوليدية وشكلية وأنحاء صورية...

إلا أن هذا لا يعني أنه سيكون موسوعة تشتمل على دقائق مختلف منهجيات هذه التيارات وتفصيلها لأن ذلك يتطلب عشرات السنين وعشرات المجلدات، ناهيك عن عدد القائمين بإنجاز هذا المشروع الضخم والذي لا يتعدى اثنين.

أضف إلى ذلك أنه لا بد لكل واضعي القواميس العلمية الفنية أن يجعلوا لأنفسهم حدا يقفون عنده، وإلا فإنه يصعب عليهم تحديد منهجيتهم وإنجاز عملهم، وقد توقفنا نحن عند حد يكاد يكون هو الحد الذي توقف عنده من سبقنا إلى وضع مثل هذه القواميس باللغة الأجنبية وهو حد نعتبره كافيا للإجابة عن التساؤلات التي يطرحها الطلبة الجامعيون والباحثون في هذا التخصص.

وقد كانت الخطوة الأولى التي قمنا بها عندما قررنا القيام بهذا المشروع تقوم على جمع الوثائق المختلفة التي تشكل مدونة بحثنا، وتتمثل في كتب لغوية قديمة وحديثة مؤلفة باللغة العربية وكتب لسانية باللغة الأجنبية، وأخرى مترجمة إلى اللغة العربية، وقمنا في مرحلة تالية بمجرد هذه الوثائق واخترنا من الرصيد المحصل المصطلحات الأكثر استعمالا، إلا أن هذه الأخيرة لم تكن كافية مُغنية، فاضطررنا في كثير من الأحيان إلى:

- وضع مصطلحات جديدة عن طريق الاشتقاق والتعريب والتوليد، جعلنا لها مقابلات للمصطلحات التي افتقدناها في المؤلفات العربية القديمة والحديثة، ومثالها: القول الأدنى، اللفظة الاتحادية، اللفظة المفروقة...

- استعمال التوليد المعنوي للاستفادة من مصطلحات عربية قديمة، أي استعمال هذه المصطلحات بمعان جديدة ومنها: الحرف، الكلام، اللفظة...

- إحياء مصطلحات متداولة في الدراسات اللغوية القديمة لانطوائها على مفاهيم هي نفسها المفاهيم التي تحيل إليها المصطلحات الأجنبية التي وضعت مقابلات لها، ومنها على سبيل المثال: المسند، المسند إليه، الفضلة...

وبهذا استطعنا الابتعاد قدر الإمكان عن الدخيل أو المقترض إلا عند الضرورة القصوى.

وقد صنفنا جميع هذه المصطلحات وفق الترتيب الأبجدي المطلق حتى تسهل على القراء عملية البحث والمراجعة، وحتى لا نقف نحن عاجزين أمام ترتيب الدخيل أو المقترض، فلا يمكن تصنيف هذا النوع من المصطلحات حسب المادة الأصلية للكلمة.

أما المرحلة الأخيرة وهي الأهم، فقد خصصناها لتعريف هذه المصطلحات طبقاً لمختلف المدارس اللسانية ومناهج تحليلها، مستشهدين في كل ذلك بأمثلة حية من اللغة العربية لتبسيط المفاهيم وجعلها في متناول القراء.

وتفاديا لما قد يحدثه من التباس في أذهان القراء تعدّد المصطلح العربي للمفهوم الأجنبي الواحد، والذي قد يتعدى العشرين كما هو الحال بالنسبة لمصطلح *linguistique* مثلاً، نذّل القاموس بثبت عربي-فرنسي لجميع المصطلحات حتى يكون أداة طيعة بين أيدي القراء، فيستفيدون منه انطلاقاً من الفرنسية أيضاً.

وهكذا سيكون هذا القاموس قاموساً يرمي إلى تحقيق هدفين، فهو قاموس للمصطلحات اللسانية العربية، وفي الوقت نفسه معجم لترجمتها إلى الفرنسية.